قصة ظريف الطول: حكاية الشاب الغريب الذي أحبّته القرية ثم اختفى



«ظريف الطول» من أحب الأغاني الشعبية إلى قلوب الفلسطينيين، تُغنّى في الأعراس والدبكات وفي حفلات الوطن. لكن وراء الأغنية حكاية شعبية عن شاب غريب وسيم دخل قرية فلسطينية، فأحبّه أهلها وتمنّته كل أم زوجًا لابنتها، ثم اختفى فجأة، ولم يعد.

من هو ظريف الطول؟

«ظريف الطول» ليس اسم شخص، بل لقب يعني الشاب الطويل الوسيم الظريف. وتقول الحكاية الشعبية إنه شاب وصل إلى قرية فلسطينية أيام الانتداب البريطاني، ربما لاجئًا من قرية أخرى، وعمل فيها نجّارًا.

كان طويل القامة، جميل الوجه، حسن الأخلاق، قليل الكلام، فكسب ثقة أهل القرية واحترامهم. وأُعجبت به بنات القرية، وتمنّته كل أم زوجًا لابنتها، حتى زوجة شيخ القرية وزوجة المختار.

لغز ظريف الطول

لكن ظريف الطول كان يختفي من القرية أيامًا، ولا يعرف أحد أين يذهب، ولا أين ينفق ماله. وكثرت الأسئلة والإشاعات حوله.

ثم انكشف السر: كان ظريف الطول يقاتل مع الثوار ضد الانتداب البريطاني والعصابات الصهيونية. وتقول إحدى الروايات إنه حين هاجمت العصابات القرية، كان أول من تصدّى لها بسلاحه، ودافع عنها مع شبابها، ثم اختفى بعد المعركة ولم يعد.

وتختلف الروايات في نهايته: بعضها يقول إنه استُشهد، وبعضها يقول إنه ذهب ليقاتل في مناطق أخرى من فلسطين، وبعضها يقول إنه هاجر بعيدًا. ولم يُعرف اسمه الحقيقي حتى اليوم.

كيف وُلدت الأغنية؟

بعد اختفائه، صارت النساء يغنين لظريف الطول، ينادينه ويطلبن منه أن يقف ليسمع كلامهن، ويسألنه إلى أين هو ذاهب، ويرجونه ألا يرحل ويترك البلد. ثم انتشرت الأغنية في القرى، وصار لها لحن ثابت يرتجل عليه الزجّالون أبياتًا جديدة.

ومع النكبة تحولت الأغنية من غزل في شاب وسيم إلى نداء للفلسطيني المهاجر والغائب: ابقَ في بلدك ولا تتركها للغريب.

ظريف الطول رمزًا

صار ظريف الطول رمزًا للشاب الفلسطيني الشجاع الذي يجمع الجمال والأخلاق والدفاع عن الأرض. ويرى الباحثون أن سر بقاء الحكاية أنها تحمل قيم الشجاعة والصمود التي ما زال الفلسطينيون يحتاجون إليها.

وفي عام 2019 صنع الفنان الفلسطيني موسى أبو عصبة تمثالًا حديديًا لظريف الطول في ورشته قرب نابلس، يزيد طوله على مترين ووزنه على 150 كيلوغرامًا.

أسئلة شائعة عن ظريف الطول

من هو ظريف الطول؟

شخصية من حكاية شعبية فلسطينية، شاب غريب وسيم عمل نجارًا في قرية فلسطينية أيام الانتداب، وكان يقاتل سرًا ضد البريطانيين والعصابات الصهيونية، ثم اختفى.

ما معنى ظريف الطول؟

لقب يعني الشاب الطويل القامة الوسيم الظريف.

هل ظريف الطول شخصية حقيقية؟

لا يُعرف اسمه الحقيقي، وتختلف الروايات في تفاصيل قصته ونهايتها، لكن الحكاية تُروى على أنها وقعت قبل النكبة أيام الانتداب البريطاني.

متى تُغنّى ظريف الطول؟

في الأعراس والدبكات والسهرات والمناسبات الوطنية.

اقرأ أيضًا:

- ثورة 1936 الكبرى
- الأمثال الشعبية الفلسطينية ومعانيها
- القرى الفلسطينية المهجّرة

شاركنا: كيف سمعت حكاية ظريف الطول من جدك أو جدتك؟ وهل تعرف رواية مختلفة؟ اكتبها في التعليقات.